الصراع البرتغالى العثمانى حول عدن فى النصف الأول من القرن السادس عشر

د / نبيل عبد الجواد سرحان

الصراع البرتغالي العثماني حول عدن في النصف الأول من القرن السادس عشر (*)

كانت عدن مركزا لتجارة الهند والشرق الأقصى وتجارة الخليج العربي، وشرق أفريقيا ، وأصبحت قاعدة هامة للتجارة العربية. وقد تحدث عنها الرحالة البرتغالي (كوفلهام) الذي زارها في عام ١٤٨٧م فقال : "إن عدن كانت من أكثر بلدان العالم تجارة ، وبأن بها أكثر التجار ثراء، إذ كانت تفد إليها السفن العديدة المختلفة الأنواع والأحجام من جميع البقاع ، فكانت هذه السفن تفد إليها من جدة محملة بالبضائع الأوربية والمصرية والسورية، كما كانت السفن تفد إليها من موانى ساحل افريقيا الشرقي مثل زيلع وبربرة وسوفالا وكيلوه وموزمبيق وممبسا محملة بالمواد الغذائية أو بالوفير من سبائك الذهب والفضة ، ومن موانى ساحل الهند الغربي مثل توبو وقاليقوت أو موانى جزر الهند الشرقية حتى ملقا وأنه كان من الصعب معرفة أنواع البضائع أو تقدير أثمانها". (١)

تعرضت عدن خلال النصف الأول من القرن السادس عشر لكثير من الضغوط الاستعمارية البرتغالية والعثمانية التي استهدفت احتلالها والسيطرة عليها، وذلك لما كانت تتمتع به من أهمية استراتيجية وتجارية. وواجهت عدن وشعبها وحكامها هذه الضغوط بأساليب مختلفة. فأحيانا اعتمدت عدن على حصانتها الطبيعية، وثانية أظهرت المقاومة الباسلة، وثالثة التجأت في أحيان أخرى إلى الأساليب الدبلوماسية، وذلك بالتقارب من إحدى القوتين صاحبتي الأطماع في عدن ، لإبعاد خطر القوة الثانية.

(*) دكتور/نبيل عبد الجواد سرحان : قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طنطا.

أصبحت عدن قاعدة هامة للتجارة العربية، وبفضلها أحرز العرب سيطرة مهمة على التجارة العالمية في العصور الوسطى إلى أن ظهرت قوى بحرية جديدة نزلت إلى الميدان وعملت على انتزاع تجارة الشرق من أيدي العرب٠ وكان وصول البرتغاليين إلى المياه العربية الجنوبية عند مطلع القرن السادس عشر قد جعل لعدن أهمية استراتيجية كبيرة ، خاصة وأنها كانت تعتبر بمثابة القاعدة الأمامية للقوى الوطنية في المنطقة ، ويمكن عن طريقها مواجهة قوات الغزو البرتغالية ، التي كانت تضع نصب عينيها الدخول إلى البحر الأحمر ومهاجمة المواني التجارية العربية هناك(٢) ولما كان الهدف الأساسي لسياسة البرتغاليين هو السيطرة التامة على التجارة الشرقية وانتزاع المواني العربية من أيدي العرب، فقد أصاب عدن الكثير من تلك السياسة ، ذلك لأن البرتغاليين عمدوا إلى القضاء على أهمية عدن التجارية، وزادوا من إظهار أهميتها الاستراتيجية الحربية٠(٣)

كانت عدن حينذاك خاضعة للدولة الطاهرية اليمنية في عهد عامر بن عبد الوهاب الطاهري ، الذي امتد حكمه حوالي تسعة وعشرين عاما (١٤٨٩-١٥١٧م)٠ وقد جذبت أهمية عدن التجارية انتباه الأسر الحاكمة٠ ومن بينها أسرة الطاهريين، فازداد اهتمامها بها، فأصلحت مبانيها وأقامت الأسوار حولها، وشيدت دار الجمرك لتحصيل الرسوم التي تفرض على البضائع الواردة أو الصادرة، وأنشأت العديد من الدور والمخازن والأسواق، فانتعشت عدن في أيامها انتعاشا كبيرا٠(٤)

أدرك البرتغاليون الاهمية التجارية لعدن ، فراحوا يخططون لانهاء دورها، وأصبح الاعتقاد السائد لدى الفونسو دا البوكيرك Alfonso de Alboquerque (١٥٠٩-١٥١٥م) ، أن الاستيلاء على عدن هو من أهم الوسائل للقضاء على وصول التجارة الشرقية إلى البحر الأحمر، التي كانت

ما تزال تصل بكميات كبيرة ، وعلى ذلك صارت عدن جزءا من المخططات البرتغالية المقبلة٠(٥)

وبعد وصول العثمانيين إلى المنطقة ، على أثر انهيار النفوذ المملوكي فيها، أصبح جهدهم منصبا للسيطرة على عدن أيضا ، وذلك لأهميتها الاستراتيجية والتجارية، حيث أشار النهروالي إلى ذلك بقوله: "**وكان العثمانيون يخشون أن يستولي عليها (عدن) الفرنج اللعين، فإن ثغرها في غاية الامتناع والتحصين٠٠٠ وأنها إذا ما وقعت في أيدي الفرنج الملاعين يصعب استردادها منهم لمعرفتهم برمي المدافع والمكاجل، وحفظ الثغور** والقلاع ، بخلاف العرب، حيث لا معرفة لهم بها، كما ينبغي لها، وأن الفرنج الملاعين إذا تمكنوا من هذا الثغر الحصين، أضروا المسلمين، ومنعوا سفائن الهند من الوصول إلى بنادر الحرمين الشريفين٠٠"(٦)

إن هذه الإشارة تظهر طبيعة المطامع والأهداف البرتغالية بعدن ، وكذلك العثمانية ، وهذه المطامع والأهداف هي التي جعلت من المنطقة موضع صراع بينهما، وجعلت العدنيين في موقف المجابهة مع كلتا القوتين٠

كانت البرتغال أول دولة فكرت في القيام بحركة الكشوفات الجغرافية في النصف الأول من القرن الخامس عشر٠ وفي عام ١٤٩٧ بدأ فاسكودي جاما في الدوران حول رأس الرجاء الصالح* إلى الساحل الشرقي لأفريقيا حتى بلغ ماليندي في مملكة (كامبيا) -كينيا حاليا- وفيها علم من الملاحين العرب أن الهند تبعد نحو ٦٠٠ فرسخ، وكان من الممكن أن تنتهي رحلة داجاما عند هذا الحد لولا صداقته مع ملك ماليندي (الملك بربان) ، التي كان من نتائجها أن هذا الملك بعث إليه عربي خبير بالمحيط والملاحة فيه هو (شهاب الدين أحمد بن ماجد)* الذي تولى إرشاد داجاما في مياه المحيط حتى وصل ساحل الهند٠(٧)

وكان ابن ماجد واحدًا من أمهر رجال الأسفار البحرية ووضع عـــددا من المؤلفات والقياسات البحرية الهامة منها كتابه الشهير: الفوائد في أصـول علم البحر والقواعد٠ وكذلك: حاوية الاختصار في أصـــول علـم البحـار٠ وتنحصر أهمية مخطوطات ابن ماجد في كونها أقدم الوثائق العربيـــة التـي دونت عن الملاحة وفنون البحار في المحيط الهندي والخليج العربي٠ ومـــن الطريف أن الحكومة البرتغالية اعترفت بفضل ذلك الملاح العربي فأقامت لـه نصبا تذكاريا في مدينة ماليندي٠(٨)

واستطاع البرتغاليون بتوجيه وإرشاد ابن مـــاجد أن يعـبروا المحيـط الهندي من ميناء ماليندي ويصلوا في اليوم الثامن عشر من شهر مايو عـــام ١٤٩٨م إلى ثغر كاليكوت على الساحل الغربي للهند المسمى ساحل مالابـار، وكانت كاليكوت حقا قلب التجارة البحرية والأسيوية كلـــها٠ فـــهناك كـانت تجري مقايضة بضائع الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا ببضـــائع أفريقيـا وأوربا والشرقين الأدنى والأوسط٠ وهناك كان المركـــز الرئيســي لتجـارة التوابل٠(٩)

وبوصول البرتغاليين إلى الهند حققوا هدفا من أهداف إســـهامهم فـي حركة الكشوف الجغرافية، وهو كشف طريق بحري متصل بوســـط أوربـا الغربية والهند وغيرها من الأقاليم الواقعة فيما وراء البحار واحتكار التجـارة الشرقية٠

وقد استعان البرتغاليون بجواسيس من اليهود قبل إرسال حملتهم بقيـادة فاسكودي جاما٠ وقد شكل أولئك الجواسيس بعثتيـن جاءتـا علـى فـترتين متعاقبتين إلى المنطقة العربية ، وقد نجح اليهود في عمليات التجسس، وكـان من أسباب نجاحهم معرفتهم اللغة العربية، وتظاهرهم بأنهم مسلمون وتخفيـهم في زي تجار ، جاءوا سرا إلى مصر ، ثم أقلعوا من السويس علـــى ســفينة

عربية إلى عدن، ثم استقلوا سفينة أخرى إلى هرمز وسافروا منها إلى الهند. واستطاع الجواسيس اليهود أن يحصلوا على خرائط عربية عن المحيط الهندي ومعلومات تفصيلية عن التيارات البحرية والرياح الموسمية في المحيط ، فضلا عن البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية من حيث حجمها ونوعياتها وما إلى ذلك من معلومات، ثم عادوا إلى البرتغال عن طريق مصر، وقد استفاد البرتغاليون من عمليات التجسس استفادة كبيرة.(١٠)

وقد عمل البرتغاليون على تطوير سياستهم الاستعمارية في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر من كشف الطريق البحري إلى الهند إلى الرغبة في احتكار التجارة الشرقية والسيطرة على مصادرها الأصلية وإقامة حكومة استعمارية أوربية في بلاد الشرق. كما فكروا في إغلاق المنفذين الرئيسيين للبحار العربية المتصلة بمياه المحيط الهندي في وجه التجار والملاحين العرب والمسلمين وهما هرمز في مدخل الخليج العربي وعدن في مدخل البحر الأحمر ، وفكروا في اتخاذها (عدن) قاعدة عسكرية للدخول إلى البحر الأحمر، وكانت تمر في هذا البحر التجارة العالمية إلى السويس فالقاهرة والإسكندرية حيث تنقل إلى أوربا.(١١)

ولا شك أن تفوق البرتغاليين الحربي كان عاملا أساسيا في تطور موقفهم السريع أثناء تلك الفترة بحيث كانوا يمتلكون سفنا حربية مزودة بالمدافع وهي أسلحة لم تكن معروفة في الهند في ذلك الحين.(١٢)

وقد أدى تحول التجارة العالمية إلى الطريق البحري المباشر حول رأس الرجاء الصالح(*) إلى حرمان الشعب اليمني وسائر الشعوب العربية المطلة على البحر الأحمر من مصدر هام من مصادر ثروتهم مما أدى إلى انهيار اقتصادياتهم ونظمهم السياسية التي كانت قائمة في ذلك الحين.

أصبح أمر السيطرة على عدن جزءا من السياسة البرتغالية التي هدفت أيضا إلى السيطرة على كل من هرمز وملقا باعتبارهما أهم مركزين تجاريين وعسكريين يتحكمان بالتجارة الشرقية، ولذلك ابتدءوا يعدون العدة لغزو عدن، ووضعوا الأمر موضع التنفيذ لأول مرة عام ١٥١٣م ٠ (١٣)

قدم البرتغاليون إلى عدن في فبراير ١٥١٣م، على رأس قوة بحرية مؤلفة من عشرين سفينة تحمل على ظهرها ألفا وسبعمائة جندي برتغالي وثمانمائة جندي هندي ملباري ، تحت قيادة البوكيرك، فوصلوا عدن في مارس ١٥١٣م٠(١٤)

وكان غرض البوكيرك من وراء زحفه إلى البحر الحمر هو الاستيلاء على عدن باعتبار ذلك جزءا من خطته العامة وهي السيطرة على مصادر التجارة وغلق المنافذ العربية البحرية، وكان البوكيرك قد أدرك قبل ذلك أن الجزء الأكبر من التجارة الشرقية يتبع طريق البحر الأحمر وليس طريق الخليج العربي وأن عدن هي أكبر مستودع تجاري هناك ، وأنه يجب السيطرة عليها لتأمين طريق البرتغال الجديد حول رأس الرجاء الصالح٠(١٥)

وحال وصول البرتغاليين إلى عدن هاجموا المدينة ، ووضعوا السلالم على أسوارها ، فتسلقها حوالي ٢٠٠ مقاتل من البرتغاليين وبحوزتهم كميات كبيرة من المعدات ودخلوا المدينة ، وهناك دارت معركة بينهم وبين المدافعين من سكان المدينة ، حيث دارت الدائرة فيها على البرتغاليين الذين ولوا الأدبار ويقول وابن الديبع في ذلك:

"فرجعوا منهزمين لا يلوي أحد على أحد ، وتكسر منهم جمع، وأخذت دروعهم وسلاحهم، فعرف باقيهم أن لا قدرة على عدن، واشتغلوا بتحريق

ما وجدوه من المراكب في البندر (الميناء) فارتفعوا وساروا إلى باب المندب ثم إلى المخا٠٠٠"(١٦)

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العدنيين ، وعلى رأسهم حاكم المدينة الأمير مرجان الظافري، قد أعدوا العدة لملاقاة البرتغاليين، وكانت خطتهم في ذلك تقوم على إظهار عدم التعرض للبرتغاليين والتخفي في داخل المدينة ومباغتة العدو عند الهجوم٠(١٧) وقد أثبتت هذه الخطة نجاحها لا في أثناء هذا الهجوم فحسب ، بل وفي أثناء معاودة البرتغاليين الهجوم عليها بعد رجوعهم من البحر الأحمر في العام نفسه، إذ وجدوا المدينة وقد أحيطت بسور جديد وأبراج عديدة، ويظهر أنها قد بنيت حديثا بواسطة أهل عدن تحسبا لأي عدوان برتغالي أخر٠(١٨) ولم يمكن هذا الوضع البرتغاليين من تحقيق هدفهم في عدن، بل أنه كان بمثابة ضربة شديدة إلى هيبتهم البحرية والعسكرية في المنطقة العربية، لأنه جاء في وقت كانوا فيه في ذروة قوتهم أيام البوكيرك٠

لم يكن الفشل الذي لاقاه البرتغاليون في عدن عام ١٥١٣م ليقضي على فكرتهم في محاولة السيطرة عليها مرة أخرى ، وذلك لأن أهمية هذه المدينة استراتيجيا وتجاريا كانت ما تزال ضمن المخططات البرتغالية ٠ وقد عهدت مهمة تنفيذ هذا الهدف للقائد البرتغالي لوبو سواريز Lopes de Sequeira خليفة البوكيرك، الذي وصل إلى ميناء عدن عام ١٥١٧م في حوالي ثلاثين سفينة ، وأبلغ أهلها أنه جاء لمساعدتهم ضد المصريين (١٩)٠ وقد أشارت بعض المصادر الأوربية، اعتمادا على الروايات البرتغالية، إلى أن الأمير مرجان لم يرحب بالبرتغاليين فحسب ولكنه قبل أن يسلمهم عدن٠(٢٠)

بيد أن الأمير مرجان لم يعد البرتغاليين بتسليم عدن إليهم، وأن جل ما قام به هو مقابلة البرتغاليين عند الساحل، وموافقته على مدهم بما يحتاجون إليه من مؤن ومرشدين بحريين لقيادة سفنهم إلى جدة، وقد قبل بذلك خوفا من مهاجمتهم عدن٠(٢١) ويبدو أن لوبو سواريز نفسه لم يكن قد وضع في خطته الاستيلاء على عدن أولا، بل أجل مهاجمتهم لحين عودته من البحر الأحمر، عندما يكون قد تمكن من القضاء على الأسطول المصري الذي كان يجري إعداده في السويس(٢٢) ولعلمه بأن المواقع والتحصينات الدفاعية في عدن قد تخربت بسبب ما ألحقه بها المماليك من تخريب وتدمير بعد محاولتهم غزوها عام ١٥١٧م، وهذا ما يجعلها فريسة سهلة بين يديه وقتما يشاء(٢٣) إلا أن سواريز لم يكن مصيبا في تقديراته، ذلك لأن الأمير مرجان على ما يبدوا قد أغتنم فرصة انشغال البرتغاليين بالتوغل في البحر الأحمر فعمل جاهدا على تقوية تحصينات ميناء عدن وإصلاح ما خربه المماليك، وعندئذ أصبح واثقا من قوة مواقعه الدفاعية ، فلم يعد للأسطول البرتغالي أية أهمية بعد عودته إلى الميناء(٢٤)٠ وفي الوقت نفسه لم يقم البرتغاليون أنفسهم بمهاجمة عدن بسبب ما لحق بقواتهم من خسائر ، ولعدم تأكدهم من نتائج ذلك الهجوم ، ولذلك تخلوا عن فكرة مهاجمتها والاستيلاء عليها، فكان ذلك عين الفشل الذي مني به البرتغاليون مما تسبب في عزل سواريز من منصبه(٢٥)٠

ومنذ هذا الوقت فصاعدا أصبحت السياسة البرتغالية قائمة على أساس إرسال الحملات البحرية إلى البحر الأحمر لمراقبة النشاطات العثمانية البحرية ومحاولة عرقلتها، لكي لا يدخلوا معهم ميدان المنافسة في المحيط الهندي، وقد كانت الحملة البرتغالية إلى البحر الأحمر عام ١٥٢٠م بقيادة لوبز سكويرا Lopes de Sequerjra نائب الملك في الهند الذي خلف سواريز، جزءا من تلك السياسة٠(٢٦)

أما بالنسبة للسياسة العدنية، فقد أصبح موقف الأمير مرجان المهادن للبرتغاليين تقليديا للحكام في عدن حتى وقوعها في أيدي العثمانيين عام ١٥٣٨م، وهذا الموقف وإن كان لا يعني أن الأمير مرجان ومن جاء بعده من الحكام كانوا مستعدين للتفريط في استقلالهم ، إلا أنه يظهر طبيعة السياسة التي انتهجها هؤلاء الحكام بقصد عدم الوقوع في أيدي البرتغاليين أو العثمانيين على السواء٠(٢٧)

وعلى ضوء التغير الذي طرأ على السياسة البرتغالية بعد دخول العثمانيين مصر عام ١٥١٧م، وتخوف البرتغاليين من نشاطاتهم البحرية، فقد بدأت عدن تحتل مكانة خاصة في تلك السياسة ، إذ عاد البرتغاليون إلى تركيز اهتمامهم بها، فعملوا على إخضاعها لسيطرتهم خوفا من وقوعها في أيدي العثمانيين٠ ففي عام ١٥٢٤م فرض البرتغاليون معاهدة غير متكافئة على عدن نصت على أن تدفع عدن خراجا سنويا للبرتغاليين، وأن تفتح ميناءها أمام السفن البرتغالية(٢٨) ولكن نائب الملك في الهند الذي كان حينذاك فاسكودي غاما الشهير، رفض اعتماد تلك المعاهدة على أساس أنها لا تمثل إلا جزءا يسيرا من المطامع البرتغالية في المنطقة٠ ولذلك فقد تعرضت عدن في عام ١٥٢٥م لضرب المدافع البرتغالية من قبل حملة برتغالية كانت في طريقها إلى مصوع، ثم جاءتها حملة برتغالية أخرى في العام التالي ولكن الرياح أبعدتها عن عدن قبل أن تحقق أي هدف للبرتغاليين في ذلك الحين٠(٢٩) وهكذا توالت الضغوط البرتغالية على عدن حتى أجبر حاكمها على قبول معاهدة قاسية عام ١٩٣٠م، وهي المعاهدة التي اعترفت فيها بالسيادة البرتغالية على عدن٠(٣٠)واعترف البرتغاليون بحق العدنيين في الملاحة في المحيط الهندي بشرط عدم ذهاب سفنهم إلى جدة ولكن هذه المعاهدة في الواقع لم توضع موضوع التنفيذ لأن عدن أدركت أنه لا بد من

الصمود من أجل بقائها والمحافظة على استقلالها خاصة أنها فقدت كثيرا من مقوماتها نتيجة الحصار البحري الذي ضرب حولها.(٣١)

على أن موقف حاكم عدن إزاء البرتغاليين كان مثار غضب العدنيين، ونقد ونقم الفقهاء والعلماء عليه .وكانت حجة هذا الحاكم دائما تقوم على أنه يحرص على إبعاد المدينة عن خطر الاحتلال البرتغالي الكامل لها ويرمي إلى عدم قيام العثمانيين بمهاجمة عدن من داخل اليمن، أو من جهة البحر . ومع إخلاص هذا الحاكم لبلاده المتمثل في القبض على البرتغاليين الموجودين بعد وقت قليل من رحيل الحملة البرتغالية ، وسجنهم وتسخيرهم في صناعة الأسلحة الحربية ، إلا أنه أظهر رغبته في الطاعة والخضوع للسلطان العثماني سليمان القانوني وأرسل إليه يبلغه بالدخول في طاعته.(٣٢)

وهكذا، فعلى الرغم من محاولات البرتغاليين المتكررة الاستيلاء على مواقع إستراتيجية على سواحل البحر الأحمر للقضاء على السيطرة الإسلامية على مياهه والوصول إلى الأماكن المقدسة الإسلامية في الأراضي الحجازية لتدميرها والقضاء على الدين الإسلامي ، فإنهم لم يستطيعوا الوصول إلى هدفهم بظهور الأتراك العثمانيين كقوة إسلامية كبيرة يخشى خطرها في ميله البحر الأحمر.

والجدير بالذكر أن الغزو البرتغالي لعدن كان أول غزو عسكري أوربي مسيحي لإقليم عربي في الشرق الإسلامي في مطلع العصور الحديثة. وقد وقع هذا الغزو في وقت كانت فيه ثلاث دول إسلامية كبرى في الشرق الإسلامي: دولة المماليك الشراكسة في مصر والشام، وكانت لها السيادة على الحجاز وكان لها نفوذ على جزيرة قبرص وتمثل هذا النفوذ في دفع جزية سنوية إلى السلطان حتى نهاية عصر المماليك في عام ١٥١٧م،

ثم الدولة الصفوية في فارس، ثم الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان. ولم تمر سنوات ذات عدد على بدء وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي حتى شبت حروب ضارية غير مسبوقة بمثال بين هذه الدول الإسلامية الثلاث أسفرت عن تغييرات جذرية في الأوضاع السياسية في الشرق الإسلامي كلن لها آثارها على الموقف العسكري والسياسي بين البرتغاليين من ناحية وتلك الدول الإسلامية من ناحية أخرى.(٣٣)

وبدأ العثمانيون يستعدون للحرب ضد البرتغاليين في البحار الشرقية بوجه عام وفي البحر الأحمر بوجه خاص. إذ كان على العثمانيين أن يعالجوا أهم المشاكل السياسية والاقتصادية التي واجهوها في مصر، بعد أن حول البرتغاليون التجارة عنها وعن منطقة الشرق الأوسط إلى رأس الرجاء الصالح ، مما جعل الحرب مع البرتغاليين ضرورة حتمية. وقد زاد من خطورة البرتغاليين – في نظر العثمانيين- تحالفهم مع الشيعة الصفويين في إيران الذين كانوا على عداء مذهبي مع الدولة العثمانية. كما حرص العثمانيون على الدفاع عن الأماكن المقدسة في الحجاز ضد الخطر البرتغالي لينالوا بذلك شرف حماية (الحرمين الشريفين) حتى تكون لهم الزعامة في العالم العربي والإسلامي.(٣٤)

ويلاحظ أن السلاح البحري لدى البرتغاليين والمزود بالمدفعية الحديثة بالنسبة للقرن السادس عشر- كان يشكل القوة الرئيسية في قواتهم المسلحة بينما كان الجيش البري للعثمانيين هو القوة الضاربة الرئيسية في القوات العثمانية المسلحة. وكان العثمانيون يعتمدون عليه اعتمادا رئيسيا في معظم حروبهم. أما السلاح البحري العثماني فكان في الصف الثاني على الرغم من أن الدولة العثمانية اهتمت اهتماما شديدا جدا بتعزيز قواتها البحرية سواء في حوض البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو البحر الأسود. وقد خاض أسطولها معارك بحرية رهيبة في حوض البحر المتوسط بوجه خاص ضد

الدول الأوربية واستطاع أن يحرز انتصارات رائعة في معظم المعارك التي خاضها ضد أساطيل هذه الدول. ومع ذلك فقد توفرت لدى البرتغاليين أسباب الغلبة على القوات العثمانية في صراع يأخذ مكانه في البحار ، كما توفرت للبرتغاليين نفس هذه الأسباب في انتصاراتهم على القوات العربية في منطقة الخليج وجنوب الجزيرة العربية.(٣٥)

وبدأ العثمانيون ينفذون جزءا من خطتهم العامة في البحر الأحمر والتي تهدف إلى مواجهة البرتغاليين هناك ، كما أنهم بدأوا يمدون نفوذهم المباشر إلى عدن ، وعززوا ذلك بإرسال عدد من الحملات البحرية في عام ١٥٢٦وعام ١٥٣٠-١٥٣١ . ولكن كان من البديهي ألا تقف جهود العثمانيين في البحر الأحمر عند هذا الحد ، خاصة وأن النفوذ العثماني حينذاك امتد إلى سواحل الخليج العربي الشمالية فأصبحوا بذلك وجها لوجه أمام البرتغاليين ، وتطلب الأمر من العثمانيين اتخاذ موقف مماثل في المياه العربية الجنوبية.(٣٦)

وإذا كانت عدن مهمة من الناحيتين الاستراتيجية والتجارية بالنسبة للبرتغاليين، فإنها احتلت نفس الأهمية في نظر العثمانيين على أساس الاعتبارين السابقين، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى تتعلق برغبة العثمانيين في الاحتفاظ بالمناطق التي يصل إليها نفوذهم في جنوب الجزيرة العربية لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية.

إلا أن عدن ظلت بعيدة عن السيطرة العثمانية المباشرة من عام ١٥١٧م وهو العام الذي استولت فيه الدولة العثمانية على مصر، وحتى عام ١٥٣٨م وهو العام الذي استولى فيه العثمانيون على عدن، حيث بدأت المنطقة تدخل فعليا في استراتيجية الدولة العثمانية. والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا تأخر وصول العثمانيين إلى عدن حتى العقد الرابع من القرن

السادس عشر رغم دخولها ضمن المخططات العثمانية؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من معرفة بداية الاهتمامات العثمانية بالمنطقة وكيفية تطورها، والأشكال والصور التي اتخذتها.(٣٧)

الواقع أن سبب تأخر العثمانيين في إرسال حملة كبيرة إلى عدن وجنوب الجزيرة العربية حتى عام ١٥٣٨ يرجع إلى اتساع الدولة العثمانية ، وإلى انشغالها في جبهات حربية متعددة ، سواء في الشرق أو الغرب. غير أن امتداد النفوذ العثماني إلى مصر ، بعد قضائهم على دولة المماليك، جعلهم يدركون أهمية البحر الأحمر والمحيط الهندي كطريق للتجارة الشرقية، كما أنهم ورثوا العبء الثقيل الذي كان يتحمله المماليك بشأن الوقوف في وجه الخطر البرتغالي في هذه المناطق ، لا سيما وأن القوات البرتغالية كانت قد حاصرت السفن العربية-الإسلامية ومنعتها من الوصول إلى مصادر تجارتهم في الشرق، وعاثت في الموانى العربية- الإسلامية تخريبا واحراقا، وأقامت الحصون المهمة في المنطقة من أجل إغلاق المنافذ الرئيسية للتجارة عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، وعملت على تجريد العرب من أي دور في تلك التجارة (٣٨) إلا أن نشاط العثمانيين في هذه الفترة المبكرة في البحار العربية الجنوبية كان يتسم بالضعف، ولا يتناسب مع خطورة الوجود البرتغالي هناك.

وليس معنى هذا أن العثمانيين لم يكن لهم أي وجود في الجنوب، فقد اعترف مماليك اليمن بخضوعهم للدولة العثمانية، منذ أن وصلتهم الأنباء بانتصار السلطان سليم الأول على المماليك في مصر عام ١٥١٧م. أما في عدن فيشير بومخرمة إلى "**أن الأمير مرجان ، حاكم المدينة، قد قام بإرسال كتاب على لسان السلطان عامر بن عبد الوهاب- الذي كان قد قتل حينئذ- إلى السلطان سليم(في اسطنبول)، وهو يشتكي فيه من أعمال حسين الكردي *وسلمان الرومي وقواتهما، ومن أعمال الخراب والتدمير التي**

وقعت في اليمن عامة، ثم اعتذر عن موقفه المهادن مع البرتغاليين . وقد أرسل الأمير مرجان هذا الكتاب على يد مبعوثين من قبله ، وسافر هذان المبعوثان إلى الحجاز عن طريق البحر، ومن ثم إلى مصر. وقد وصلا إلى اسطنبول فعلا فرحب بهما السلطان سليم، إلا أن الرسولين لقيا مصرعهما في الطريق قبل عودتهما إلى اليمن(٣٩) وبغض النظر عن مصير هذين الرسولين، إلا أن الأمر يشير إلى أن الأمير مرجان ، قد استخدم مع العثمانيين نفس الأسلوب الذي اتبعه مع البرتغاليين وهو أسلوب الليـن والمهادنة رغم أن النفوذ العثماني لم يكن قد وصل بعد إلى تلك المناطق.

وقد حدث من حاكم عدن ما يماثل هذا الأمر في عام ١٥٢٧م إذ وافق على عقد معاهدة مع العثمانيين الموجودين في اليمن "**أعترف فيها بأن يقرأ الخطبة باسم السلطان العثماني ، وأن يجعل اسمه على النقود، وأن يدفع نصف العشور المتأتية من تجارة الهند**"(٤٠) ومع أننا لم نجد أي تطبيق عملي لهذه المعاهدة ، إلا أنها تشير مرة أخرى إلى طبيعة السياسة التي درج عليها حكام عدن. وفي ١٥٣٠م بعد أن فرض البرتغاليون معاهدة جائرة على عدن، رفضها الشعب العدني وحاكمه بسرعة بعد مغادرة البرتغاليين المنطقة.

"**قام حاكم عدن بالكتابة إلى السلطان سليمان القانوني يخبره باللدخول في طاعته**"(٤١) وكان ذلك على ما يبدوا نكاية بالبرتغاليين وحتى يقوى من جانبه إذا ما عادوا إلى مهاجمة عدن. ولكن أليس من الممكن أن يكون العثمانيون قد اتخذوا من هذه المواقف ذريعة لمد نفوذهم إلى عدن ، اعتمادا على الاعتراف المسبق من حاكم المدينة بالتبعية الاسمية للعثمانيين.

ومع تقديرنا للسبب أو الأسباب التي كان يتذرع بها حاكم عدن من أجل هذه المراسلات، إلا أن مجريات الأحداث تثبت أنه لم يقدر تماما طبيعة

الصراع والمنافسة الدائرة بين البرتغاليين والعثمانيين التي بدأت تطرق أبواب عدن والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية. ففي ذلك الوقت بدأ العثمانيون ينفذون جزءا من خطتهم العامة في البحر الحمر والتي تهدف إلى مواجهة البرتغاليين هناك، كما أنهم بدءوا يمدون نفوذهم المباشر إلى اليمن وسواحلها الجنوبية، وعززوا ذلك بإرسال عدد من الحملات البحرية في عامي ١٥٢٦، ١٥٣١م(٤٢) ولكن كان من البديهي ألا تقف جهود العثمانيين في البحر الأحمر عند هذا الحد ، بخاصة وأن النفوذ العثماني حينذاك امتد إلى سواحل الخليج العربي الشمالية فأصبحوا بذلك وجها لوجه أمام البرتغاليين، وتطلب الأمر من العثمانيين اتخاذ موقف مماثل في المياه العربية الجنوبية.

كان الرد السريع والحاسم الذي اتخذه العثمانيون هو حمله سليمان باشا الخادم(*) عام ١٥٣٨م، التي كانت أساسا موجهة ضد البرتغاليين في الهند، إلا أن الحملة المذكورة قامت بأمور أخرى كثيرة في عدن وسواحل الجنوب اليمني ، استهدفت تثبيت النفوذ العثماني هناك، سواء أكان ذلك بمعرفة وتخطيط السلطات العثمانية كما يفسره المنطق، أم تم وفقا لتصرفات سليمان باشا نفسه، كما يحلو لبعض المصادر تفسير ذلك(٤٣) وعلى أية حال ، فقد اتخذ سليمان باشا بعض الخطوات الأولية للكشف عن مدى انقياد وطاعة الحكام العرب على طول الساحل اليمني، وبخاصة في عدن والشحر ، للدخول في طاعة السلطان العثماني. إذ أرسل سليمان رسولا من قبله على رأس وفد كبير إلى كل من سلطاني عدن والشحر ، فأخذ عامر بن داود الرسالة والخلعة الخاصة به، ولكنه أرجأ الرد على الرسالة إلى حين عودة الرسول العثماني من الشحر. ويظهر أن عامر بن داود سلطان عدن قد تعمد ألا يقابل الرسول العثماني عند عودته إلى عدن ، بل كلف بعض أتباعه بإهدائه بعض الهدايا، ولم يترك ردا على رسالة سليمان باشا إليه(٤٤) وكان هذا الأسلوب المراوغ جزءا من سياسة حكام عدن المعروفة، ولكنه

تسبب في قتل السلطان عامر هذه المرة من قبل سليمان باشا بعد وصوله إلى عدن مباشرة.

وكيفما كان الأمر فنحن لا نستبعد وجود علاقة بين قتل السلطان علمر بن داود الطاهري وبين المراسلات الكثيرة، والتي كتبها حكام عدن إلى السلطان العثماني بشأن اعترافهم بالسيادة العثمانية. وهنا أراد سليمان باشا أن يختبر حقيقة تلك المراسلات وفيما إذا كان هؤلاء الحكام جادين في ادعاءاتهم . إلا أنه تبين له عدم جدية هؤلاء الحكام في مراسلاتهم. وهذا ما لمسه سليمان باشا في اعتذار سلطان عدن عن مقابلة الرسول العثماني وعدم إعطائه أي رد واضح عن اعترافه بالسيادة العثمانية، ولهذا اتبع سليمان باشا أسلوبا غادرا في قتل السلطان عامر،رغم أنه سمح لجنود الحملة العثمانية عند وصولها السواحل اليمنية فيما بعد بدخول عدن والتزود بما يحتاجون إليه من مؤن وطعام.(٤٥)

وبعد أن أنهت الحملة مهمتها في عدن والجنوب اليمني، اتجه سليمان باشا على رأس الأسطول العثماني إلى الهند لمنازلة البرتغاليين هناك. ولكن يبدو أن سوء تصرفه في عدن أساء إليه كثيرا مما جعله يفشل في هذا السبيل فعاد إدراجه إلى مصر (٤٦) ومن ناحية أخرى ، فنحن لا نستطيع أن ننكر جهود سليمان باشا الخادم في إخضاع السواحل اليمنية وجعلها قاعدة ارتكاز للأسطول العثماني في أي هجوم مقبل ضد البرتغاليين، غير أن ذلك كان على حساب إخضاع عدن والشحر للسيطرة العثمانية المباشرة، التي يبدو أنها كانت من الأغراض الرئيسية الكامنة للحملة. فقد ذكر صاحب البرق اليملني أن سليمان باشا بعد عودته إلى أسطنبول ، **تفاخر كثيرا باستيلائه على مناطق عديدة في الجنوب اليمني، فأظهر (للوزير الأعظم) أنه افتتح عدن ، وألحقها بأقاليم اليمن، وعظم شأن القطر الواسع ، وكبر قدر المكان الشاسع، وسمي بهم أسامي بلدان ، وأمصار وحصون كبيرة المقدار،**

واسعة المجال والمدار، وهم لا يعرفون شيئا مما ذكره....."(٤٧). وجاء تأكيد هذه الرغبة العثمانية بضم عدن وسواحل الجنوب اليمني إلى الدولة العثمانية فيما ذكره صاحب كتاب الأعلام بإعلام بيت الله الحرام" **وأسفرت سفرته (أي سليمان باشا) عن أخذ زبيد وعدن"(٤٨)**

من المؤكد أن الفترة التي تلت استيلاء العثمانيين على عدن عام ١٥٣٨م كانت أحرج الفترات التي مرت بالعثمانيين إذ كادوا أن يفقدوا نفوذهم هناك لمرات عديدة ، وذلك بفضل الثورات التي قام بها أهل البلاد ضدهم. ففي عام ١٥٤٧م كانت ثورة على بن سليمان البدوي، التي استهدفت إنهاء الوجود العثماني في عدن لأنه تسبب في حرمان قبائل الطوالق ، التي ينتسب إليها علي بن سليمان الطولقي نفسه، من الموارد المالية التي كانت تحصل عليها قبيلته من حماية طرق التجارة في أراضيها، والممتدة من عدن إلى داخل اليمن.

ومما زاد في خطورة هذه الثورة بالنسبة للعثمانيين أن زعماءها كانوا قد اتصلوا بالبرتغاليين بعد قيامهم بالثورة طلبا لمساعدتهم، وهنا تتكشف حقيقة الأطماع والنوايا البرتغالية والعثمانية في عدن. إذ طالما تم هذا الأمر سارع كل من البرتغاليين والعثمانيين إلى إرسال قواتهم إلى المنطقة، فوصلت ثلاث سفن برتغالية- من مجموع ثلاثين سفينة كان البرتغاليون قد أرسلوها إلى ميناء عدن- ففوجئت بوجود السفن العثمانية هناك. وكان العثمانيون قد أرسلوا بنجداتهم البحرية والبرية إلى عدن فتمكنت من الوصول إلى الميناء ، وكذلك نجدتهم البرية ، التي تمكنت جميعها من إحباط الثورة ، قبل وصول المساعدات البرتغالية إلى عدن(٤٩) ولا شك أن أهمية عدن في نظر العثمانيين هي التي دعتهم إلى الإسراع بإرسال قواتهم إلى عدن، وهي السبب في مكافأة قائد الأسطول العثماني لجهودهم في استرجاع عدن إلى حظيرة الدولة العثمانية.(٥٠)

وبعد هذا كله جاءت الجولة الأخيرة في الصراع البرتغالي-العثماني حول عدن، متخذة من قيام قاسم بن شويع بالاستيلاء على السلطة من أيدي العثمانيين في عدن فرصة لذلك٠ إذ كان قاسم هذا قد تمكن من ضم أقاليم اليمن الجنوبية ، ومن بينها عدن ، بسرعة إلى سلطته، وراسل البرتغاليين بشأن الحصول على مساعدتهم ضد العثمانيين٠ وهنا أيضا رحب البرتغاليون من جانبهم بهذه الفرصة فأرسلوا بعض قطعاتهم البحرية إلى عدن، فثارت ثائرة العثمانيين لذلك وجردوا أسطولا بحريا مزودا بالآلات والعدد والعسكر بقيادة واحد من أبرز قادتهم البحرية لمواجهة الموقف ، وهو الأمير خير الدين القبطان المعروف بقورت أوغلي ، الذي وصفه النهروالي قائلا:

"**هو ذو بأس شديد، ومعرفة ورأي سديد، سيما في أحوال البحر وحروبه، وطريق أخذ الحصون وضروبه، وكانت له تجارب في ذلك وبصائر ، وله مع الفرنج حروب وكسائر، فتوجه في تلك الاغربة (السفن) إلى عدن في ١٥٦٨م**"٠(٥١)وهكذا جردت الدولة العثمانية محلتها هذه بقيادة الأمير خير الدين القبطان، التي تمكنت من استرداد عدن من يد قاسم بن شويع، ومطاردة السفن البرتغالية حتى ولت فرارا ، وبهذه الصورة استعاد العثمانيون نفوذهم على عدن، وجعلوها ولاية عثمانية، وعينوا واليا من قبلهم عليها٠

نستطيع من هذه الدراسة السريعة أن نستخلص ما يلي:-

- **استطاع العثمانيون بعد سيطرتهم على عدن (وغيرها من موانى البحر الأحمر) إغلاق البحر الأحمر أمام السفن الاستعمارية وجعلوه بحيرة إسلامية مغلقة بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة الإسلامية، فكان على مثل هذه السفن أن تفرغ حمولتها في موانى عدن وتقوم السفن**

الإسلامية بحمل هذه التجارة إلى داخل البحـــر الأحمـــر، وقـــد تجنـــب البرتغاليون إثارة الدولة العثمانية منذ ظهر نفوذها في البحـــر الحمـــر فأصبح نشاطهم فيه محددا خوفا من أن توجه الدولة العثمانية نشـــاطها الحربي إلى الهند، وخاصة أن البرتغاليين كانوا يدركـــون مـــدى قـــوة الدولة العثمانية في ذلك الحين وذلك باستثناء بعض حملاتهم مثل حملـــة ١٥٤٢م التي كان ردا على حملة العثمانيين بقيادة سليمان باشا الخـــادم عام١٥٣٨م.

- إن القضاء على النفوذ البرتغالي في الشرق لم يتم على أيدي العثمانيين وذلك بالرغم من محاولتهم المبكرة للقضاء على النفوذ البرتغـــالي فـــي الهند ، ولكن يمكن القول أن العثمانيين قد نجحوا في إبعـــاد النفـــوذ البرتغالي عن البحر الأحمر.

- بدأت المطامع البرتغالية في عدن منذ مطلـــع القـــرن الســـادس عشـــر وقويت بمرور الزمن حتى عام ١٥٣٨م، حيث برزت المطامع العثمانيـــة في المنطقة. ومنذ عام ١٥٣٨م بدأ اهتمام العثمانيين بعدن، وأصبحـــت على أهمية كبرى في الصراع البرتغالي-العثمـــاني، بحيـــث أن حملـــة سليمان باشا الخادم المشهورة لم تكن لتقتصـــر علـــى كســـر شـــوكة البرتغاليين في الهند ، بل وللسيطرة على عدن ، التي كـــانت بمثابـــة مفتاح البحار العربية الجنوبية في ذلك الصراع.

الهوامش

(١) نقلا عن :صالح محمود رمضان ، الصراع البرتغالي في اليمن ١٥١٧-١٥٣٨،مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤٧،السنة١٢، شوال ١٤٠٦هـ/يوليو ١٩٨٦م، ص ص١٣٣-١٥٣ .

(٢) جلال يحي "عدن قاعدة استراتيجية للاستعمار"مجلة الكتاب، العدد ٧٥،السنة السابعة، يونيو ١٩٦٧،ص١١٤ .

(٣) نفس المقال ، ص ١١٥ .

(٤) محمد الطيب بامخرمة ، ثغر عدن، ج١ ،١٩٣٦،ص ص ١٥-١٦.

(5)R.b. Serjeant, the Portuguese of the South Arabian Coast, Oxford, 1963,p.16.

(٦) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، ١٩٦٧، ص ٢٣٢ .

- **رأس الرجاء الصالح كان أسمه قبل هذه التسمية "رأس العواصف" وذلك لكثرة ما به من عواصف، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه"رأس الرجاء الصالح" وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه، لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول إلى الهند .(يحي بن حسين غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القسم الثاني، ص ٦٣٠).**

- **يذكر قدري قلعجي أن ابن ماجد هو شهاب الدين بن ماجد بن محمد النجدي الذي كان يلقب بشاعر القبلتين ، وقد ولد حوالي عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م في جلفار على الشاطئ الغربي للخليج (وهي رأس الخيمة اليوم) وكان أبوه وجده ممن أشتهر في الملاحة وألفوا فيها**

الرسائل وكان الوالد يسميه الربابين "ربان البرين" (قدري قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت، دار الكتاب العربي،١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص٣٥٣)

(٧)محمد محمود الصياد؛ أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، القاهرة ،١٩٧٠، ص ص ٣١٩، ٣٢٠ .

(٨)جمال زكريا قاسم ، أثر الاستعمار الأوربي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرق أفريقيا (مستخرج من بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية) ج٢ ،الدوحة ، قطر، ١٩٧٦، ص ٨٠٨

(٩) بوندار يفسكي : الخليج العربي بين الإمبرياليين والطامعين في الزعامة، موسكو ، ١٩٨١م، ص ٢٢ .

(١٠) عبد العزيز محمد الشناوي: المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية ، مستخرج من بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج٢، الدوحة، قطر، ١٩٧٦، ص ٦٧٩ .

(١١) صالح محمود رمضان ، المقال السابق، ص ص ١٣٣-١٥٣ .

(١٢) السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن، ١٥٣٨-١٦٣٠،ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٥٠ .

(13) M.L Dames "the Portuguese and Turks in the Indian Ocean in the Sixteenth century" , Journal of the Royal Asiatic Society, pt.1 , January, 1921, pp.11-12.

(١٤) يوسف فضل حسن : الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ/يناير ١٩٨٣م، ص ص ١٠٤-١٢٨،أنظر صالح رمضان محمود: المقال السابق ، ص ص ١٣٣ - ١٥٣ .

(١٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: النشاط التجاري في البحر الحمر في العهد العثماني ١٥١٧-١٧٩٨م، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة ، ربيع أول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م، ص ص ٩٠-١٠٧ .

(١٦) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الديبع ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ،ج٢، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي ، ج٢ القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢١٧ .

(١٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢١٦ .

(١٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ص ٢١٧-٨

(١٩) طارق نافع الحمداني، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٤٢، السنة ١١، رجب ١٤٠٥هـ/أبريل ١٩٨٥م، ص ص ١٦٩-١٨١

(20) R.B.Serjeant,op.Cit.,p .50

(٢١) طارق نافع الحمداني ، المقال السابق ، ص ص ١٦٩-١٨١ .

(٢٢) أحمد بو شرب "مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل" ، المناهل، العدد السادس والعشرون ، السنة العاشرة، مارس ، ١٩٨٣، ص ٥٣ .

(٢٣) طارق نافع الحمداني، المقال السابق، ص ص ١٦٩-١٨١ .

(24) M.L. Dames, op, cit ,p.13.

(٢٥) سعد زغلول عبد ربه، البرتغاليون والبحر الأحمر، مجلة الدارة ، العدد الثاني، السنة السادسة، ربيع أول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م،ص ص ١٠٨-١٢٤ .

(26) Great Britain, Naval Intelligence division, Western Arabia and the Red Sea , London, 1946, p.260

(٢٧) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(28) Naval intelligence division, Western Arabia and the Red Sea , p.260.

(٢٩) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق، ص ١١١ .

(30) Serjeant , op. Cit, p.55.

(٣١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المقال السابق، ص ص ٩٠-١٠٧

(٣٢) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسية البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨،القاهرة ، ١٩٧٦، ص ٤٨ .

(٣٣) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق، ص ٦٣٥-٦٣٦ .

(٣٤) فاروق عثمان أباظه ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٣٥) عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق، ص ٦٥٧ .

(٣٦) صالح محمود رمضان، المقال السابق، ص ص ١٣٣-١٥٣ .

(٣٧) طارق نافع الحمداني ، المقال السابق، ص ص١٩٦-١٨١ .

(٣٨) ك . م بانكياد، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ٥٠-٥٢ .

- حسين الرومي أحد الأمراء الذين وردوا مع السلطان سليم الأول إلى مصر وكانت له وجاهة عند خاير بك والي مصر فولاه نيابة جدة وأضاف إليه اليمن.

(٣٩) طارق نافع الحمداني، المقال السابق، ص ص ١٦٩-١٨١ .

(40) Serjeant , op. Cit, p.33

(41) Ibid , p.34

(٤٢) السيد مصطفى سالم، المرجع السابق ، ص ص ١٣٣-١٣٨ .

- سليمان الخادم أحد مماليك السلطان سليم الأول ومن المقربين إليه وظل واليا على مصر حتى غادرها إلى العراق للاشتراك في فتح بغداد ثم بدأت ولايته الثانية لمصر عام ١٥٣٦ واستمر حتى خرج منها على رأس حملة بحرية إلى عدن ١٥٣٨م.

(٤٣) قطب الدين النهروالي ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

(44) Serjeant , op. Cit, p.77

(٤٥) قطب الدين النهروالي ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤٦) يحي بن الحسين الصفاني، المرجع السابق، ص ٦٨٤ .

(٤٧) قطب الدين النهروالي ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٤٨) قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت، ١٩٦٤، ص ٣٠١ .

(٤٩) يحي بن الحسين الصفاني ، المرجع السابق، ص ٦٩٦ .

(٥٠) طارق نافع الحمداني، المقال السابق ، ص ص ١٦٩-١٨١ .

(٥١) قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، ص ٢٥٥